# زيارة الأربعين

## - قراءة في الأبعاد الروحية والثورية -

أ. م. د. أنوار سعيد جواد
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء

أ. م. د. بشرى حنون محسن
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء

**الملخص**

احتلت فاجعة الطف الخالدة حجماً زمانياً امتد من سنة (٦١هـ) وإلى يومنا هذا وسيستمر، وبعداً مكانياً لم يقف عند حدود أرض كربلاء وإنما امتد على كل أرض تشهد صراعاً بين قوى الحق وقوى الباطل حتى أصبحت (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) كما نلحظ ذلك في الساحة والمشهد اليومي للأحداث. كان حرياً أن يحفظ التاريخ هذه الذكرى وأن يجددها كل عام، بل أن الباري عزَّ وجلَّ قد خصها بهذه الكرامة، جزاءً لما قدمته للإنسانية من تضحيات في سبيل الرسالة المحمدية، فكانت مثالاً تطبيقياً لمبادئ الرسالة الاسلامية، فكانت بحق مصداقاً لمقولة: (الاسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء).

ومن ملامح هذا البقاء هو خصّ الامام الحسين بزيارة الأربعين من دون سائر الأئمة والأوصياء، لما تتضمنه هذه الخصوصية من أبعاد روحية ونفسية وحتى جسدية اثبتت نتائجها بشكل واضح وملموس في واقعنا الراهن اليوم في مقارعة قوى الظلم متمثلا بالفكر التكفيري لداعش.

وسيحاول هذا البحث أن يقف عند تلك الابعاد ويسلط الضوء عليها من خلال:

- الوقوف عند مفهوم الأربعين ودلالته، وخصوصية زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.
- الدروس والعبر الدينية والانسانية والروحية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة.

# The Arbaeen Pilgrimage - A Reading in the spiritual and revolutionary dimensions

*Prof. Anwar Saeed Jawad* *Prof. Bushra Hanoun Mohsen*

College of Islamic Sciences / Karbala University

## Abstract

The immortal tragedy of Karbala took on a temporal dimension extended from (61 Hijri) until the present day and will continue for the unseen future, and a spatially distance that did not stand at the borders of the land of Karbala, but extended on every land witnessing a struggle between the forces of good and the forces of evil, so it had earned the slogan of "Every land is Karbala and every day is Ashura", which we observe in the daily arena of events.

History should've kept this tragedy and renew it every year; it should be noted that Allah Almighty has singled it out with this dignity as a reward for the sacrifices made in it for the sake of the Muhammadiyah message; so it was an applied example for the principles of the Islamic message, and a live proof for the saying "Islam existed by Mohammadi, survived by Hussein".

One of the features of this survival, is that Imam Hussein was distinguished by the Arbaeen pilgrimage rather than the rest of Imams, due to what this feature has in spiritual, psychological and even Physical dimensions that proved their results in a clear and tangible way in our current reality during the fight against the forces of injustice represented by the Takfiri idiology of ISIS.

This search will try to stop by those dimensions and highlight them by explaining the concept of Arbaeen and its significance, and the position occupied by the Arbaeen pilgrimage to Imam Hussein "pbuh", and the religious, humanitarian and spiritual lessons learned derived from this pilgrimage and their impact on the confrontation of the current challenges.

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين حبيب قلوب المؤمنين، المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

لم تكن حادثة الطف حدثاً تاريخياً عابراً شأنه شأن الأحداث التي عصفت بتاريخ الانسانية منذ وجود آدمعليه السلام وإلى يومنا هذا، وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وإنما تميزت هذه الواقعة بالخلود والبقاء لما خصت به، ولما وقعت من أجله، ذلك انها تخطت بوقائعها وأحداثها وشخوصها عتبات التاريخ، فلم تعد حدثاً تاريخياً عابراً وقع في زمان معين ومكان محدد، بل امتدت ابعادها ونتائجها الى واقعنا اليومي المعاصر لتشمل الانسانية بكل ابعادها ومراميها مسطرة بذلك أروع الصور في التضحية من أجل المبادئ، وأنبلها في التصدي للظلم والطغيان بجميع أشكاله وتنوع صوره عبر التاريخ.

ولما كانت هذه الفاجعة بهذا الحجم الزماني الممتد من سنة (٦١هـ) وإلى يومنا هذا -وسيستمر-، وبهذا البعد المكاني الذي لم يقف عند حدود أرض كربلاء وإنما امتد الى كل أرض تشهد صراعاً بين قوى الحق وقوى الباطل حتى اصبحت (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) كما نلحظ ذلك في الساحة والمشهد اليومي للأحداث. كان حرياً أن يحفظ التاريخ هذه الذكرى وأن يجددها كل عام، بل ان الباري عزَّ وجلَّ قد خصها بهذه الكرامة، جزاءً لما قدمته للإنسانية من تضحيات في سبيل الرسالة المحمدية، فكانت مثالاً تطبيقياً لمبادئ الرسالة الاسلامية، فكانت بحق مصداقاً لمقولة: (الاسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء). ومن ملامح هذا البقاء هو أنْ خصّ الامام الحسينعليه السلام بزيارة الأربعين من دون سائر الأئمة والأوصياء، لما تتضمنه هذه الخصوصية من أبعاد روحية ونفسية وحتى جسدية اثبتت نتائجها بشكل واضح وملموس في واقعنا الراهن اليوم في مقارعة قوى الظلم متمثلاً بالفكر التكفيري لداعش.

وسيحاول هذا البحث أن يقف عند تلك الأبعاد ويسلط الضوء عليها من خلال:

١. الوقوف عند مفهوم الأربعين ودلالته، وخصوصية زيارة الأربعين للإمام الحسين.
٢. الدروس والعبر الدينية والانسانية والروحية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة.

**مفهوم الأربعين ودلالته**

مما لا يخفى على القارئ أو الباحث أو المتلقي ان لفظة (الأربعين) حملت من الخصوصية بمكان لما تحمله من دلالات تشير إلى كمال الشيء وتمامه.

وبهذا المفهوم ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من آية، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] في إشارة منه إلى وصول الانسان ((حد الكمال))[2].

وفي قصة موسى حيث واعده ربه أربعين ليلةً حتى يتلقى التوراة منه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[3]، وفي موضع ثالث قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] في إشارة منه إلى تمام الشيء أو الميقات.

وكذلك في إخباره عز وجل لموسى (عليه الصلاة والسلام) من تحريم دخول قومه بلد ((الجبارين أربعين سنة))[5]، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[6].

وبالرجوع إلى أحاديث الأئمة عليهم السلام ونصوصهم نجد أن للأربعين خصوصية مستمدة من القرآن الكريم في الدلالة على كمال الشيء وتمامه، فقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ((إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده، وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه))[7]. وفي موضع آخر قال عليه السلام: ((من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله عز وجل يوم القيامة عالماً فقيهاً ولم يعذبه))[8]، وفي رواية ((من حفظ من أحاديثنا....))[9]. بل نجد أبعد من ذلك من خصوصية جعلت (للأربعين) عندما جعلت من علامات المؤمن، كما في نص الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث قال: ((علامات المؤمن خمس: صلاة الاحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[10]. ومن هذا نلحظ ان للفظة الأربعين أبعاداً دلالية وخصوصية سواء على مستوى القرآن أو الحديث، وهذا ما نجده في زيارة الأربعين، وما لها من خصوصية وتفرد.

**لماذا الإمام الحسين عليه السلام؟**

من الامور المعروفة والمتداولة اجتماعياً والمتوارثة من سنن التاريخ هي زيارة الفقيد بعد أربعين يوماً من وفاته تأسياً بآل بيت الرحمة (صلوات الله وسلامه عليهم) عند زيارتهم قبر سيد الشهداء، فكانت أول زيارة له. بل انه خص بالزيارة في كل مناسبة دينية، من دون سائر الأئمة عليهم السلام، كما في زيارته المخصوصة في يوم عرفة، وفي رجب وفي النصف من شعبان، وزيارة عاشوراء فضلاً عن زيارة الأربعين وغيرها مما ورد ذكرها في كتب الزيارات المعروفة[11].

ويبدو أن مأساة فاجعة الطف وما حملته بين طياتها من مآسي وآلام فاقت كلَّ فاجعة، فضلاً عن استشهاد الامام عليه السلام فيها وبالطريقة والكيفية التي لم يشهدها التاريخ ولم يعرف لها نظيراً، كانت هي السبب في خص الامام الحسين عليه السلام بالإحياء والزيارة الأربعينية من دون بقيّة أهل البيت عليهم السلام وتفرده بذلك، لما لقضيته من ميزة في الحفاظ على الرسالة السماوية كما أرادها الباري عز وجل وكما بعث بها نبيه صلى الله عليه وآله، ولذا قيل: (الإسلام بدؤه محمَّدي وبقاؤه حسينيّ).

فضلا عن ذلك ((أنّ قضيّة سيّد الشّهداء هي التي

ميّزت بين دعوة الحقّ والباطل،..... فما قاساه سيّدُ الشّهداء لتوطيد أسسِ الإسلام واكتساح أشواكِ الباطل عن صراط الشّريعة وتنبيه الأجيال على جرائم أهل الضّلال هو عين ما نهض به نبيُّ الإسلام لنشر الدّعوة الإلهيّة. فمن أجل هذا كلّه لم يجد أئمةُ الدين من آل الرّسول مندوحة إلاّ لفت الأنظار إلى هذه النهضة الكريمة لأنها اشتملت على فجائع تُفَطِّرُ الصخرَ الأصمَّ، وعلموا أنّ المواظبة على إظهار مظلوميّة الإمام الحسين تستفزُّ العواطفَ وتوجب استرقاق الأفئدة))[١٢]، فضلاً عن استلهام العِبر والدروس من هذه الفاجعة الأليمة، لذا كان لابد من اكمال دورها وتأثيرها في نفوس الناس من خلال إحيائها وإعادة استذكارها بعد مرور أربعين يوماً.

((ومن هنا لم يرد التحريض من الأئمّة على إقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كلّ واحدٍ منهم حتى نبيّ الإسلام لكون تذكار كارثته عاملاً قوياً في إبقاء الرابطة الدينية، وأنّ لفت الأنظار نحوها حاجةٌ مُلِحّةٌ في إحياء أمر المعصومين..... لأنّ مصيبته أعظم المصائب بل تصغر كل مصيبةٍ أمام مصيبته))[١٣].

## خصوصية زيارة الأربعين للإمام الحسين

لعل أبرز ما يميز زيارة الاربعين ويحيطها بالخصوصية هو ما تحمله من معاني استذكار الآلام والمصائب والمحن التي حلّت بالإمام الحسين وأهل بيته الكرام، ابتداءً من رجوع السبايا من الشام إلى العراق في العشرين من صفر من أجل دفن الرأس الشريف مع الجسد، وما قاسته من آلام السبي وفقدان الإمام وظلم السلطة واضطهادها. فكان هذا التاريخ يمثل رمزاً وإحياءً لكل مشاعر الحزن والأسى واستذكاراً لهذه الواقعة الأليمة.

ومن هنا جاءت الأحاديث والروايات في حث المحبين والموالين لسيد الشهداء على زيارته في جميع الأوقات بشكل عام وعلى زيارته في الأربعين على وجه الخصوص لما لهذه الزيارة من أهمية في توطيد مشاعر المحبة والولاء للحسين الشهيد واستذكاراً لما بذله من أجل الحفاظ على تعاليم رسالة جده المصطفى.

ولعل ما أسهم في تميز زيارة الأربعين وخصها بهذه الأهمية ما رواه زرارة عن الامام الصادق قال: ((قال أبو عبد الله: يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإن الارض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتثرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين))[١٤].

هذا فضلاً عن عمل الإمام المعصوم علي بن الحسين ((السَّجّادُ وعقيلة الهاشميّينَ والسّبايا زاروا الإمامَ المظلومَ يومَ الأربعين، فزيارةُ الإمامِ السَّجّادِ يومَ الأربعينِ دليلٌ على الاستحباب، لأنّ الإمامَ معصوم عن الخطأ فكل تصرفاته وما يصدر عنه حكمة وصواب، ففِعْلُهُ وقولُهُ وتقريرُهُ حُجَّةٌ، ولو لم يكُن يومُ الأربعينِ مُستَحَبّاً لما فَعَلَهُ الإمامُ السَّجّادُ وعقائِلُ الوحيِ والطَّهارةِ صلوات الله عليهم أجمعين؟!))[١٥].

أما الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد خص زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام من خلال جعله إياها واحدة من علامات المؤمن، حيث قال: ((علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[١٦]. نلحظ في هذا الحديث كيف ان الامام عليه السلام ربط بين الأعمال العبادية الواجبة كالصلاة الواجبة والمستحبة وتعفير الجبين الناتج عن كثرة السجود للباري عز وجل وبين زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، مما يشير إلى ان لهذه الزيارة – وبما تحمله من أبعاد ومضامين– أهمية خاصة في ترسيخ دعائم الدين الاسلامي وإحياء للرسالة المحمدية الخاتمة. ومن هنا نجد تأكيد الأئمة على إحياء شعيرة زيارة الأربعين كما أرادها الباري عز وجل، وكما حثت عليها نصوص الائمة عليهم السلام وأحاديثهم في فضل هذه الزيارة المباركة، حتى أنها عُدَّتْ ((من علامة إيمانهم وولائهم لسيد شباب أهل الجنة المنحور على مجزرة الشهادة الإلهية المثول في يوم الأربعين من شهادته عند قبره الأطهر لإقامة المأتم وتجديد العهد بما جرى عليه وعلى أهل بيته وصحبه من الفوادح العظيمة))[١٧] على يد قوى الظلم والكفر متمثلاً بالأمويين ومن تابعهم.

كما ان هذه الزيارة تُعَدُّ من علامات الإيمان لأن الانسان ينفعل بها أكثر من غيرها من الزيارات لما يتمثله فيها من الأحداث والوقائع التي جرت على أهل بيت النبوة عليهم السلام، وكأنه بذلك يعيش في قلب الواقعة، ومعنى هذا ان الانسان سيعيش جو الدموع والآلام والحزن على مصاب آل البيت. وهذا يُعدُّ مظهراً من مظاهر التودد والتقرب لأهل البيت عليهم السلام.

فهذه الزيارة فيها الدموع وفيها الآلام وفيها الحزن أكثر من غيرها لان المؤمن ينغمر بقلبه وكيانه ووجدانه وعواطفه بمآسي المأموم، وهذا هو الجو العبادي الذي تتضمنه الزيارة وتمثله لأنها تستشعر في قلب كل مؤمن أحداث الواقعة بكامل أبعادها ومآسيها وما حلَّ بسيد شباب أهل الجنة وولده وأصحابه وأهل بيته من قتل وسبي.

وبلغ الاهتمام بزيارة الأربعين أن خصَّها الامام الصادق بالدعاء للزائرين الذين يجاهدون أنفسهم في إحيائها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الزائر يكون تحت رعاية الباري عز وجل ولطفه ورحمته، وهذا ما نقرأه في نصه:((**عن معاوية بن وهب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلّاه فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: «يا من خصّنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الامم السالفة وخصّنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن**

**وأعطهم أفضل ما أمَّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيَّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش». فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلما انصرف قلت له: جُعلتُ فداك لو أن هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ يا معاوية لا تدع ذلك، قلت: جعلت فداك فلم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله. فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوفٍ من أحد، فمن تركه لخوف رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان بيده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أما تحب أن تكون غداً ممن تصافحه الملائكة، أما تحب أن تكون غداً فيمن يأتي وليس عليه ذنب فيتبع به؟ أما تحب أن تكون غداً فيمن يصافح رسول الله صلى الله عليه وآله))**[١٨].

والنص بالرغم من طوله إنما يسلط الضوء على أهمية زيارة الامام الحسين عليه السلام في الأربعين وخصوصيتها والأبعاد الدينية والروحية المترتبة على الاهتمام بهذه الزيارة، مشيراً بذلك الى الصعوبات والمشاق المادية التي يتحملها الزائر في اثبات حبه وولائه لآل بيت النبوة والسير على نهجهم. فطريقهم هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. ومن هنا جاءت الرعاية الالهية في حفظ هذه الشعيرة عبر مراحل التاريخ المختلفة لما تحمله من دروس وعبر وضحها الامام الصادق عليه السلام في حديثه مع معاوية بن وهب. وهذا ما سنحاول أن نقف عنده.

## الدروس والعبر الدينية والانسانية والروحية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة:

لم تكن حادثة الطف حدثاً تاريخياً عابراً سطرت وقائعه صفحات الزمن وأسطره، ولم تكن أرض كربلاء بقعة مكانية محددة في جغرافية البلدان، ولم يكن الحسين عليه السلام شخصاً يبحث عن سلطة وقيادة وحكم دنيوي، وإنما كان التاريخ والمكان والشخوص جميعها خاضعة لإرادة إلهية. ومن هنا كسبت سر وجودها وبقائها وخلودها.

ولعل هذا ما يفسر لنا هذا الاهتمام وهذه الخصوصية لإحياء شعيرة زيارة الأربعين على مدى التاريخ، ذلك أنها تعد من الشعائر الإلهية المقدسة التي جاءت نتيجة الصدق في العمل والغاية التي من أجلها خرج الامام الحسين عليه السلام في عاشوراء كربلاء ألا وهو الاصلاح في أمة جده النبي محمد صلى الله عليه وآله من الانحراف والفساد والوقوع في الزلل والخطأ وما آلت إليه الرسالة السماوية من الخروج عن النهج الرباني الذي خط لها على يد السلطة الأموية.

ومن هنا نالت هذه الزيارة الثواب العظيم والاجر الكبير والمنزلة الرفيعة لما تضمنته من دروس وعبر شملت الابعاد المادية والروحية، منها:

**تجديد العهد لسيد الشهداء:**

ان ما تشهده مدينة كربلاء من توافد الاعداد الكبيرة من الزائرين لأداء مراسم زيارة الاربعين على الرغم مما تتعرض له من ألوان العذاب على مر التاريخ، متمثلاً بتنوع اساليب القتل والاضطهاد والتفجير من قبل أعداء أهل البيت، ما هي الا مسيرات تأييد وتضامن هدفها تأكيد الولاء للمسيرة الحسينية الخالدة وتذكير النفوس بالمبادئ والقيم الرسالية والتعاليم الاسلامية التي من اجلها استشهد الامام الحسين عليه السلام. فكانت زيارة الاربعين تعبيراً صادقاً لاستذكار هذه التضحيات والسير على الدرب الذي عبَّده لهم سيد الشهداء بدمائه الزاكية.

وهذا البعد سبق أن أشار إليه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما قال في الدعاء لهم: ((اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان))[19].

فالإمام عليه السلام في الوقت الذي يدعو فيه لزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالمغفرة لما بذلوه في إحياء زيارة الأربعين والتمسك بها لأثرها في التمسك بعترة أهل البيت وإدخال السرور على قلب الرسول محمد صلى الله عليه وآله، نراه يشير إلى ابعادها الاخرى من إخافة الظالمين وغيظهم، وهذا الدرس وهذه العبرة من الوعي العام في شيعة العالم واتباع أهل البيت وهم يخرجون بالملايين متحدين الموت والارهاب والشهادة من قبل أتباع بني أمية وقوى الظلم والضلالة والكفر. وهذا ما نشهده في كل زيارة أربعينية وكل موسم عاشورائي إذ نجد التحدي والصمود ضد الظالمين والطغاة من خلال ازدياد عدد الزائرين الذين يقدمون الأموال والأرواح من اجل نصرة قضية سيد الشهداء، مُتَحَدّينَ بذلك كل قوى الكفر ووسائل الارهاب من تفجير وتفخيخ من أجل السير على نهج الرسالة المحمدية متمثلة بالقضية الحسينية.

إن هذا السير الأربعيني وهذا الزحف المليوني وهذه العزيمة في مواجهة الظلم كان لها صدىً واسع في مواجهة قوى الكفر والضلال الداعشي وهو يحاول ان يفرض نفوذه على أرض المقدسات، فكان لأبناء الحسين عليه السلام السائرين على دربه المتبعين نهجه أثر في الوقوف بوجهه والتصدي له.

**تذكير النفوس بالتعاليم الاسلامية**

تعد شعيرة زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام ركيزة أساسية من ركائز التمسك بالتعاليم الاسلامية، فأهل البيت عليهم السلام هم السبيل المؤدي الى الدين الاسلامي وهم الترجمان الحقيقي للإسلام قولاً وعملاً، وهذا ما نقرأه في الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السلام: ((السلام على الذين مَنْ والاهم فقد والى الله، ومَنْ عاداهم فقد عادى الله، ومَنْ عرفهم فقد عرف الله، ومَنْ جهلهم فقد جهل الله، ومَنْ اعتصم بهم فقد اعتصم بالله،

ومَنْ تخلى منهم فقد تخلى من الله عز وجل))[٢٠].

فهم السبل السالكة والطريق المؤدي إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ، وهذا ما سبق أن أشار إليه الامام جعفر الصادق عليه السلام في حديثه مع معاوية بن وهب، عندما قال: ((أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان))[٢١] ومعلوم ان محبة أهل البيت واتباع نهجهم والسير على خطاهم هو الطريق المؤدي إلى توحيد الله ومعرفته، فهم مدرسة -أهل البيت- يمثلون التوحيد، وان الطريق يؤدي إلى معرفة الله والاقرار بوحدانيته والتمسك بعبوديته إنما يمر عبر اتباع نهج مدرسة أهل البيت التي رسم معالمها ووضح نهجها الامام الحسين عليه السلام في نهضته وفي استشهاده، وان تخليد زيارة الاربعين إنما هو السبيل للتمسك بهم والسير إلى الله فـ(مَنْ عرفهم فقد عرف الله ومَنْ جهلهم فقد جهل الله).

ومن هنا جاءت زيارة الاربعين لتذكير النفوس وتعزيزها بالتمسك بوحدانية الله وتعاليم الاسلام المحمدي الأصيل في مواجهة إسلام معاوية والامويين ومن سار على نهجهم ممن أرادوا به الانحراف والتضليل خدمة لمصالحهم وترويجاً لأفكارهم المنحرفة الضالة، وهذا ما شهده الواقع الاسلامي من تحديات في الفكر والعقيدة.

**مناسبة لتعزيز وحدة الامة**

إن إحياء شعيرة زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام إنما هي مناسبة لتعزيز وحدة الامة الاسلامية، بكل طوائفها ومذاهبها، ذلك ان قضية الامام الحسين عليه السلام ونهضته وثورته لم تكن لفئة معينة أو طائفة محددة، وإنما كانت لأهداف اسلامية عامة، وإن مشروعه إنما هو مشروع أمة بأكملها ألا وهو (إصلاح الأمة الاسلامية) وهذا ما صرح به في قوله: ((أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين))[٢٢].

ومن هنا كانت زيارة الأربعين تمثل درساً من دروس الصلاح والإصلاح، وان هذا السير الكربلائي المقدس في هذه المناسبة إنما هو من أجل النصح والارشاد والاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي تمثل تحصيناً للنفس من الوقوع في الضلال وذلك من خلال الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يؤدي إلى فساد الامة وانحراف المجتمع. وهذا ما تسعى إليه قوى الكفر والضلال من أجل هدم الامة الاسلامية واضعافها من خلال اشاعة مظاهر الفساد فيها بشكل أو بآخر وكذلك من خلال الطعن والتشكيك في المبادئ التي من أجلها استشهد سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، موظفة من اجل تحقيق اهدافها كل ما أوتيت من امكانيات مادية وإعلامية من أجله، وهذا ما نستطيع أن نتلمسه من بعض وسائل الاعلام والفضائيات التي تحاول أن تبث روح التفرقة المذهبية والطائفية بين أبناء المجتمع الواحد، غير أن اتباع مدرسة أهل البيت ومحبيهم والسائرين على نهجهم لم ينههم ذلك عن الالتحاق بالزحف الحسيني المقدس في زيارة الأربعين، وربما

هذا ما سبق أن أشار إليه الامام الصادق عليه السلام عندما قال: ((اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم))[٢٣].

**تجديد معاني التضحية والفداء**

لعل من أبرز الدروس والعبر المستمدة من زيارة الأربعين هو تجديد العهد بالسير على خطى الامام الحسين عليه السلام والتضحية بالغالي والنفيس من أجل المبادئ والقيم الرسالية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله، وضحى من أجلها الإمام عليه السلام. والمتتبع لتاريخ زيارة الاربعين منذ وصول سبايا أهل البيت عليهم السلام ولقائهم بجابر بن عبد الله الانصاري في العشرين من صفر عام ٦١هـ، والى يومنا هذا يلحظ كيف ان الولاة من الطغاة والظالمين حاولوا أن يمنعوا اقامة هذه الشعيرة ادراكاً منهم لما تحمله من مضامين وما تبعثه في النفوس من رفض لكل أشكال الظلم والقهر الانساني وخوفاً من زيارته عليه السلام لأنه يمثل الجذوة والقبس الذي يشعل الثورة ضد هؤلاء الطغاة على مر التاريخ ابتداءً من العصر الاموي مروراً بالعصر العباسي وما فعله المتوكل من القتل وقطع الأيدي والارجل لمنع هذه الزيارة وفرض الضرائب والغرامات المالية فضلاً عن العقوبات، وصولاً إلى يومنا هذا حيث التفجير والتفخيخ والقتل والارهاب وغيرها من مظاهر العنف من أجل اضعاف هذه المسيرة المليونية وهذه الشعيرة المقدسة.

لقد تناسى هؤلاء الطغاة ان هذه الزيارة هي تحت عين الباري عز وجل وفي رعايته، وهذا ما رسمه لنا حديث الامام الصادق عليه السلام عن شيعة الحسين ومحبيه، ((فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم))[٢٤]. في اشارة منه إلى أن زوار الامام الحسين في يوم الأربعين تحدوا الموت في خروجهم، وهذه هي ملامح مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذه هي تربية الامام الحسين عليه السلام. وما هذه الروح في التضحية والفداء التي نجدها اليوم في نفوس ابنائنا واخواننا من مجاهدي الحشد الشعبي ومن أبطال جيشنا وهم يقارعون قوى الظلم والكفر الداعشي إلا انعكاس لهذه التربية الحسينية الاصيلة، لقد تركوا الاهل والابناء وابتعدوا عن ديارهم مؤثرين طاعة الله ورسوله، سائرين في الدرب الذي رسمه لهم سيد الشهداء، متحدين بذلك الطغاة في كل زمان وفي كل مكان.

**التمسك بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة:**

ان التمسك بإحياء زيارة الأربعين في الوقت الذي يلهب في النفوس حب التضحية والفداء فانه في الوقت ذاته يذكر بالمبادىء والقيم الثورية النبيلة التي تبعث الانسان إلى التضحية من أجلها، وهذا ما تجسده زيارة الأربعين فهي محطة استذكار وتجديد عهد بالمبادئ والقيم الخلقية التي يجب أن يتمتع بها

اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكذلك التذكير بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة. على ان هذا لا يعني أن هذه القيم الخلقية والمبادئ الثورية تظهر فقط في الزيارة الاربعينية لسيد الشهداء، وإنما نعني بها ان هذه الزيارة هي محطة تجديد عهد وولاء للمسيرة الحسينية الخالدة. ذلك ان الدنيا بمغرياتها تحاول أن تبعد الانسان –في معظم الاحيان– عن نفسه ومبادئه وقيمه، وأن تجعله عبداً لرغباته ونزواته وشهواته الدنيوية، فتأتي مناسبة زيارة الاربعين كل سنة لتجدد تمسك الانسان بالقيم والمبادئ والابتعاد عن الانحراف الذي قد يقع فيه نتيجة الانغماس في مظاهر الحياة الدنيوية. وهذا ما نشاهده اليوم في شبابنا المجاهد من أبطال الحشد الشعبي فقد وظفوا كل طاقاتهم الشبابية وامكاناتهم الجسدية من اجل الحفاظ على ارض البلد من أي اعتداء تعرض له، وخدمة للدين والمذهب الحسيني الذي تربوا ونشأوا عليه، لقد ترك هؤلاء الشباب الأبطال نعيم الحياة الدنيوية ومغرياتها من اجل الحفاظ على الدين الاسلامي ومن اجل الحفاظ على المقدسات الاسلامية كما فعل قائدهم ومعلمهم الامام الحسين عليه السلام من قبل.

لقد كانت ملحمة الأربعين رافداً معطاءً بكل معاني التضحية والايثار من اجل الحفاظ على المبادئ والقيم الرسالية النبيلة، نهل منه جميع محبي أهل البيت عليهم السلام في كل أرجاء الأرض، وليس بغريب أن ينالوا شرف دعاء المعصوم لهم، وكأنه ينظر الى صورهم ويطالع وجوههم التي احرقتها اشعة الشمس متخطين بذلك كل العقبات والصعوبات من اجل تحقيق الأهداف التي جاهد من أجلها صاحب الذكرى العطرة عليه السلام، حيث نقرأ قوله: ((فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا))[٢٥] على مر التاريخ والأزمان وهي تصيح (يا حسين) صرخة مدوية يمتد صداها إلى آخر الدنيا، وكأن الامام عليه السلام أراد من شيعته ومحبيه أن يصرخوا بملء وجودهم وأن يرفعوا رايات الحسين (هيهات منا الذلة) و (لبيك يا حسين) حتى ظهور مولانا الامام القائم المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

وهذا ما نشاهده اليوم في ساحات الدفاع عن أرض الوطن، حيث رايات الحسين ترفرف خفاقة في كل ناحية وفي كل موضع وقف فيه أبناء الامام الحسين، وما هذا الصمود وما هذه التضحية وما هذا الايثار في الحفاظ على القيم والمبادئ إلا ثمرة من ثمار زيارة الأربعين، ودرساً من دروسها. فلا عجب بعد ذلك ان تشملهم العناية الإلهية وتحيط بهم الدعوات ليس في الأرض فقط من قِبل الأئمة عليهم السلام وإنما الملائكة أيضاً تدعو لهم في السماء، وهذا نص حديث الامام عليه السلام لمعاوية بن وهب يؤكد ذلك: ((فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوف من أحد))[٢٦].

فهنيئاً لمن نال شرف زيارة الامام الحسين في الأربعين، وهنيئاً لمن تمسك بالقيم والمبادئ التي خطها الامام الحسين، وهنيئاً لمن شمله الالتحاق بمدرسة أهل البيت وركب سفينة النجاة.

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة في رحاب أبعاد ومضامين زيارة الأربعين لسيد الشهداء الحسين عليه السلام نوجز أبرز ما تم التوصل إليه:

- حمل لفظ (الاربعين) مفهوماً ودلالة على التكامل والتمام في الشيء كما ورد ذلك في القرآن الكريم وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام.
- من هذا المنطلق جاءت الأعراف الاجتماعية المتوارثة لتحث على زيارة المتوفى بعد أربعين يوماً من تاريخ وفاته.
- تميز الامام الحسين عليه السلام من سائر الأئمة والمعصومين بخلود زيارة الأربعين لتاريخ استشهاده. كما جاء في الاحاديث عن استحباب إحياء شعيرة (زيارة الأربعين).
- حملت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام دروساً وأبعاداً لازالت مضامينها وآثارها باقية في مواجهة التحديات.
- إن إحياء شعيرة زيارة الأربعين إنما هو إحياء لثورة الحسين عليه السلام وتجديد عهد وتذكير النفوس بالمبادئ الاسلامية والقيم الانسانية النبيلة.
- ان هذه الشعيرة المقدسة كانت ومازالت مصدر قوة لاتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مقابل أعدائهم الذين حاولوا على مدى التاريخ أن يحرفوا مسارها بشكل أو بآخر مستعينين بشتى الوسائل والسبل.
- ان ما يشهده الواقع اليوم من صراع بين قوى الكفر والضلال الداعشي وبين قوى الحق هو امتداد لثورة الحسين عليه السلام ونهضته، ومن هنا كانت شعيرة زيارة الأربعين رافداً معطاءً لكل معاني القوة والتضحية والايثار من أجل الدفاع عن أرض الوطن.
- ان ما تشهده زيارة الأربعين من تزايد في أعداد الزائرين واختلاف أماكنهم إنما هو بسبب الرعاية الالهية لها المسددة بدعاء المعصومين عليهم السلام. وستظل راياتها خفاقة تجوب عنان السماء حتى يبعث الله الامام القائم عجل الله فرجه الشريف.

## الهوامش

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن/ تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار احياء التراث العربي. المجلد التاسع: ٢٧٥.

(٣) البقرة: ٥١.

(٤) الأعراف: ١٤٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: المجلد ٣/ ٤٩٠.

(٦) المائدة: ٢٦.

(٧) الميزان في تفسير القرآن / العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م ج١٨/ ٤٤٩.

(٨) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي. ج٢/ ١٥٣.

(٩) م. ن.

(١٠) م. ن: ج٨٢/ ٧٥- ٧٦.

(١١) يُنظر: مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي. بيروت دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى: ٢٠٠٣. ص:٤٦٢- ٤٩٣.

(١٢)زيارة أربعين سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام/ مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث.

(١٣)م. ن.

(١٤)بحار الأنوار: ج٤٥/ ٢٠٦

(١٥)زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام أدلتها...أسرارها.. أهدافها / علي القطبي الحسيني / مؤسسة النور للثقافة والإعلام، مقالات: ١٥/ ٢/ ٢٠٠٩ م.

(١٦)م. ن: ج٨٢/ ٧٥- ٧٦.

(١٧)زيارة أربعين سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام/ مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث.

(١٨)بحار الأنوار: ج٨٩/ ٨-٩.

(١٩)م. ن.

(٢٠)مفاتيح الجنان: ٥٦٤.

(٢١)بحار الأنوار: ج٨٩/ ٨-٩.

(٢٢)م. ن: ج٤٤/ ٣٣٠.

(٢٣)م. ن: ج ٨٩/ ٨.

(٢٤)م. ن.

(٢٥)م. ن.

(٢٦)م. ن.

**المصادر والمراجع**


١. **القرآن الكريم.**

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي.

٣. التبيان في تفسير القرآن/ تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار احياء التراث العربي.

٤. زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام أدلتها...أسرارها.. أهدافها / علي القطبي الحسيني / مؤسسة النور للثقافة والإعلام، مقالات: ١٥/ ٢/ ٢٠٠٩ م.

٥. زيارة أربعين سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام/ مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث.

٦. مفاتيح الجنان/ الشيخ عباس القمي. بيروت دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى: ٢٠٠٣.

٧. الميزان في تفسير القرآن/ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.